دروس من الوحي

للشيخ محمد شريف الزبيق
المدرس في الجامعة

صدر أخيرا عن الدار السعودية للنشر هذا الكتاب الذى يعتبر حلقة من حلقات الادب الاسلامى ، الذى يمتاز بطريقة عرضه واسلوبه ، وهو عبارة عن محاورات اذاعية فى ضوء الكتاب والسنة النبوية .

وللاستاذ المجذوب جولات موفقة فى كتابة القصة ، فقد صدرت له عدة قصص ناجحة مثل : بطل الى النار ، قصص من الصميم ، صور من حياتنا ، قصص من مجتمعنا ، فارس غرناطة وقصص اخرى ، ويأتى أخيرا هذا الكتاب ((دروس من الوحى)) ، صدى لتلك الجلوات الروحية حين كان يخلو بكتاب الله ، او الحديث النبوى بوعى وتفتح ، فتنقدح فى قلبه انطباعات تطل به على آفاق من السعادة والغبطة والجمال ، لاسبيل الى استيفاء وصفها ، ولاسبيل الى تناسيها .. كما يقول فى المقـدمة .

والموضوعات التى عالجها فى هذا الكتاب او (الدروس) مختارة من القضايا الاسلامية الراهنة التى لها اثرها العميق فى حياة المسلمين مثل : التوحيد الخالص ـ الايمان باليوم الآخر ـ الرضا بالقضاء والقدر ـ اثر العبادات فى تقويم السلوك ... وقد عمل على ربط هذه الموضوعات بواقع المسلمين فى تحليل دقيق عميق.

كما ناقش كثيرا من المشكلات الخطيرة التى واجهت الامة الاسلامية ، ففند الدعوات القومية فى فصلى (الشرف الباذخ) و (سوف تسألون) ، وتصدى لبحث الصراع بين الايمان والكفر فى (مكر الليل والنهار) و (حزب الله)، ودحض الاسرائيليات المدسوسة فى كتب التفسير فى (قصة الغرانيق) و (لابد من الصراحة) . وفى هذا الفصل الاخير بحث قصة زينب((رضى الله عنها)) وزواج النبى منها ، الى غير ذلك من الموضوعات الهامة .

وقد اتخذ لهذا الكتاب اسلوب الحوار بين(الشيخ) و (التلميذ) فوفق الى ابعد حدود التوفيق ،

Made With Pdf Office

وكتاب الله العظيم قد اشتمل فى كثير من سوره على انماط من الحوار الرائع. والطريقة الحوارية الى مافيها من تشويق ، طريقة مفيدة فى تبسيط المعانى وتقريبها الى الافهام ، ولذلك اختارها الحكماء والمجيدون من الكتاب ولايحسنها الا من اوتى طاقة فنية عظيمة كالاستاذ المجذوب ، الذى له القدم الراسخة فى مختلف ميادين الادب من شعر ونثر وقصص .

وقد تناول المؤلف فى فصل عنوانه: (حى على الصلاة) معارك المسلمين مع الشيوعية والصليبية ، داعيا الى استعادة روح الصلاة الخاشعة ، فبها يعيدون شخصيتهم ، ويحسنون التصرف بطاقاتهم .. وروح الصلاة تتمثل فى المساواة والقضاء على التفاوت الذى تخلفه تعقيدات المدنية بين اصناف الناس وطبقاتهم ، مما يسميه التقدميون (الصراع الطبقى) .. ويقول :«الصلاة هى الكفيلة بمحو ذلك القلق ، واذابة ذلك التوتر بما تتيحه للمصلى بين ساعة وساعة من فرص التأمل الهادىء والمناجاة الخاشعة للخالق .. حيث يتلاقى المختلفون من البشر كل منهم بجانب الآخر ، وقد تفتت من بينهم الحواجز ، وتماست المناكب ، وتلاقت الجباه على الارض ، تسبح مانح الحياة ، وقد عاودها اليقين بوحدة المنبت والشعور بالحاجة الى رحمة الله .. »

وفى الحديث عن اسرار الصلاة يعرب المؤلف عن تجربة من تجاربه الروحية ، حيث يجد فى الصلاة علاجا للشرايين المرهقة تحت اثقال التفكير ، فبالوضوء تبرد حرارة الاعصاب ، وبالصلاة تخفف من ضغط الارهاق .. وكأنه بهذا يشير الى قوله صلى الله عليه وسلم (ارحنا بها يا بلال) .

وفى فصل آخر عنوانه : (جليس الله) يتناول بالبحث اثر البيئة فى توجيه الافراد حيث يقول : « فنحن نتأثر بالاستاذ والصديق والكتاب والجو والطعام والكساء ونوع الحياة ، كل اولئك يترك فى حياتنا انطباعاته العميقة ، التى يتعذر علينا التحرر منها بغير الحصانة العقلية التى تحسن النقد .. وينتهى الى المقارنة بين انسان يألف جو المقاهى ، وما فيها من لغو وعبث وفضول وثرثرة لاخير فيها سوى تبديد ساعات العمر .. وبين انسان آخر اخذ نفسه بملازمة المساجد ، فقلبه معلق بها ، لايطمئن الا حين يعود اليها .. الاول يعيش حياته بروح« المقاهى » ، صلته بأهله وبالناس صورة مجسمة من صلته برفاق ذلك الجو العابث المحتال، والآخر انسان يعامل اهله ومجتمعه بروح المسجد الذى عوده الهدوء والوقار وخفض الصوت واستحضار جلال الله من خلال كتابه اثناء مناجاته والرفق باخوانه المصلين ، واستشعار حقهم عليه وواجبه ازاءهم .. ذلك اثر الاعتكاف الجزئى فى حياة رواد المساجد لاداء الصلوات الخمس فكيف بآثار الاعتكاف الكلى ، الذى

Made With Pdf Office

يستغرق الشهر كله او ثلثه فى مصاحبة الله : (اذا شئت ان اخاطب ربى صليت له ، واذا شئت ان يخاطبنى قرأت كتابه) .

وفى فصل (نماذج مشوهة) يبحث موضوع الصد عن سبيل الله من خلال آيات سورة هود تقارن بين فريقين : الكافرين الذين يصدون عن سبيل الله، والمؤمنين الذين عملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم (مثل الفريقين كالاعمى والاصم ، والبصير والسميع ، هل يستويان مثلا ؟. أفلا تذكرون ؟!) واليك بعض هذا الحوار البديع :

الشيخ ــ وقد رأيت ألوانا من هذا المنع فى موقف قريش من دعوة محمد ((صلى الله عليه وسلم)) .

التلميذ ــ اجل رأيت سياط التعذيب تنصب على ياسر وسمية وبلال وزنيرة واخوتهم من المؤمنات والمؤمنين .

الشيخ ــ ولعلك لم تنس بعد تلك الالوان الاخرى من المنع تتجلى فى دعاية أبى لهب وأبى جهل والنضر بن الحارث الذى حاول صرف الناس عن كتاب الله الى اساطير الامم !

التلميذ ــ ذلك الغوى الذى روى الله فى القرآن قوله الوقح : (سأنزل مثلما أنزل الله) !

الشيخ ــ هو نفسه . أتذكر موقف قريش من الاعشى الشاعر يوم قدم مكة راغبا فى الاسلام ؟

التلميذ ــ ذلك الذى يقول عن ناقته وهو يمدح رسول الله :

فآليت لا ارثى لها من كلالة
ولا من حفىٍ حتى تزور محمدا
نبى يرى ما لا ترون ، وذكره
أغار لعمرى فى البلاد وانجدا . .

الشيخ ــ ذاكرة مسعفة ، فهل تذكر كيف صدته قريش عن الاسلام ؟

التلميذ : لا أستطيع نسيان تلك الوسيلة الخسيسة ، التى عمد اليها بعض المشركين يوم ذاك، اذ اعترضوا طريق الشاعر يحاولون تنفيره من الاسلام ، بذكر ما يحرمه من الفجور والشرور .

الشيخ ــ ردوه عن بغيته اخيرا ؟

التلميذ ــ قالوا له ولكن محمدا يحرم الخمر !.. فأوجس المسكين خيفة . . وقال : اما هذه فوالله ان فى النفس منها لعلالات ، وانى منصرف فأتروى عامى هذا ، ثم آتيه فأسلم . . الخ .

هذا الحوار الذى يعدد نماذج من الصد عن سبيل الله ، كالحيل النفسية او (الدعاية الفكرية السيكولوجية) التى تعتبر اشد الوسائل الابليسية اثرا فى القلوب الهشة والعقول الغضة ، اذ سرعان ماتستهويها ببهرج القول . . انها نماذج مشوهة ، كثيرا ما نصطدم بها فى حياتنا اليومية !.. ومن الصد عن سبيل الله تحويل المجتمع الى سجن كبير ، يفرض على سجنائه ألا يقرأوا الا مايكتبه سجانهم، ولايأكلوا الا ما يقدمه لهم ، ولايتحركوا الا فى الاتجاه الذى يحدده لهم !.. واستمع معى الى هذا الحوار الرائع:

Made With Pdf Office

التلميذ ــ والغريب فى امر هــذا السجان وزمرته انهم لايكتمون مــا يريدون !. فهم يعلنون فى كل مناسبة انهم يستهدفون تفكيك بنية المجتمع لاعادة بنائه على طريقتهم .

الشيخ ــ طريقتهم الابليسية التى يسمونها (العلمية) مبالغةفىالتضليل!

التلميذ ــ يا للحصار الجهنمى !!

الشيخ ــ وهم لايكتفون مــن سجنائهم بالسكوت حتى يكرهوهمعلى الهتاف بحياتهم ، وتمجيد جهودهــم فى سلخهم عن مقوماتهم ، والويــل للذين يستنكفون عن الخضوع لهــذا التخطيط الرهيب !!

التلميذ ــ مهما يكن هذا الويل فهو اهون من قبول الهوان والكفر .

الشيخ ــ يبدو لى انك لم تسمع حتى الآن بالمحاكمات المزيفة ولابالتهم المزورة ، والاقرارات المأخوذة تحت وقع السياط ونفخ الاحشاء ولــذع الكهرباء !

التلميذ ــ سمعتها .. ولكنى لــم استطع تصديقها .

الشيخ ــ من حقك ان تكذبهــا يابنى .. لأنك لاتعرف حقيقة اصحابها

التلميذ ــ وهل تبلــغ القســوة بانسان الى هذا الحد ؟

الشيخ ــ هؤلاء يابنى انسلخــوا من انسانيتهم ، منذ كفروا بلقــاء ربهم ، وبذلك كانوا على اتم الاستعداد لكل كبيرة تحقق شهواتهم !

التلميذ ــ لا أكاد افهم مرادك .

الشيخ ــ فتذكر ان انكارالبعثاهم الاسباب فى فقدان الشعور بالمسؤولية لان الكافر بلقاء الله لايســتطيع ان يتصور ان وراء هذه الدنيا حسابا على اى تصرف !.

التلميذ ــ الآن فهمت معنى قوله تعالى فى وصفه ذلك الفريق (وهــم بالآخرة هم كافرون) !

الشيخ ــ فضم الى فهمك الجديد ايضا ملاحظة تكرار الضمير فى هــذا التعبير،ثمسل نفسك عنمدلوله الخ..

وفى قصة الغرانيق لايتردد الكاتب فى القطع بأنها اكذوبة دسها اعــداء الاسلام للاساءة الى مقام صاحــب الرسالة عليه الصلاة والسلام .وكيف ينطق الوحى او النبى « صلى الله عليه وسلم » بمدح الاصنام التــى ما بعث الا لهدمها ، فيقول فى اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى : (تلك الغرانيق العلى ، وان شفاعتهــن لترتجى) كمــا تزعم تلــك الرواية المدسوسة ايضا انه تكلم بذلــك فى نادى قومه ، فرضوا بما تكلم به ، فلما امسى اتاه جبريل فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال جبريل عليــه السلام : ما جئتك بهاتين !. فما زال مغموما حتى نزل عليه قوله تعالى : (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشــيطان فى امنيته ..) الخ . وفى الحوار التالى يدلل المؤلف على بطلان هذه الرواية :

Made With Pdf Office

التلميذ ــ انى انكرها كلها لاننى اجد فيها اساءة الى مقام صاحب الرسالة .

الشيخ ــ وما حجتك فى ذلك ؟

التلميذ ــ معارضتها للآيات التى تؤكد عصمة الرسول من كيد الشيطان وحسبنا منها قوله تعالى : (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين) .

الشيخ ــ بخ ، بخ !. هذا يابنى ادراك الفطرة الصافية ، فأضف اليه ما قرره جهابذة الحديث من قدماء العلماء ومحدثيهم ان القصة باطلة موضوعة ..

التلميذ ــ باطلة موضوعة ؟!

الشيخ ــ بل ان ابن خزيمة صاحب الحديث الصحيح المعروف يقول : انها من وضع الزنادقة !. (وبعد انيشير المؤلف الى ان بعض متأخرى المفسرين ينقلون الروايات عن المتقدمين دون مناقشة او تحقيق يعود فيقول) :

التلميذ ــ ثق يابنى ان مثل هذا السؤال قد تردد فى افواه الجميع سواء من صدق القصة ومن كذبها .. ولكن الوهم انما جاء المصدقين من براءة الحبكة فى تأليف القصة وطرق روايتها !

التلميذ ــ زدنى ايضاحا من فضلك

الشيخ ــ لقد رأى هؤلاء الفضلاء ضعف القصة من حيث المضمون ولمسوا ضعفها من حيث الرواية ، ولكنهم وجدوا طرقها متعددة فلم يجرؤوا على ردها !

التلميذ ــ حقا انه لموقف حرج !

الشيخ ــ غير انه حرج موهوم .. فهى من حيث المضمون متعددة الصور الى حد التعارض الصريح ، كما رأيت ومن حيث السند ليس فى طرقها ما يسمو على مستوى الارسال او الضعف او الجهالة كما يؤكد المحققون .

ويختتم المؤلف بحثه ببيان معنى الآيات موضحا ان الامنية كالاملية وزنا ومعنى ، وهى ما يمليه القارىء او المتكلم على سواه . فالله سبحانه يخبرنا ان الشيطان لايكف عن محاولاته لافساد رسالات الانبياء فاذا مابلغوا وحى ربهم على اتم وجه ، جاء الشيطان يزين للناس تحريف المعانى الالهية بزيادة اونقصان ولكن الله برحمته يهيىء للحق رجالا يجلونه ابدا .. ثم يبين الله سبحانه لنا الحكمة من اتاحة الفرصة لمحاولات الشيطان ، اذ يجعل ذلك بمثابة امتحان يقيم به الحجة على دعاة الفساد ويشد عزائم المؤمنين فى

Made With Pdf Office

الاعتصام بالحق ..»

وكذلك يفعل فى رد قصة زينب فى فصل (لابد من الصراحة) مقررا ان مدخل القصة فى تفسير الخازن يحمل بنفسه طابع الافتعال .. فهو يعرض المواجهة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وزينب على الطريقة المعروفة فى قصص الحب !.. انسان عادى يرى انسانة فى مظهر مغر ، وفى غيبة زوجها ، فيقع فى هواها !.. ثم يتعرض الرسول«صلوات اللهوسلامه عليه ــ فى زعم الرواية ــ الى صراع نفسى ، اذ يحاول كتمان هواه خشية كلام الناس !.. فلا يستطيع الى ذلك سبيلا .. لان الله قد قضى باظهاره !

وبعد ان يشير المؤلف الى نقد المحققين للخبر ، وحكم ابن كثير بعدم صحته ، يوضح الحقيقة الناصعة وهى ان زيد بن حارثة مولى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » الذى انعم الله عليه بالاسلام وانعم عليه النبى بالحرية ، لما تزوج زينب كرهته، فلما استيأس منها ومن امكان استمرار الحياة الزوجية معها اراد ان يطلقها رغم الحاح النبى عليه (امسك عليك زوجك ..) فلما طلقها فرض الله على رسوله الزواج منها ، ليهدم بذلك عرفا جاهليا كان يقضى باعتبار المتبنى ابنا شرعيا تحرم مطلقته على متبنيه، لانها فى نظرهم زوجة ابنه : (لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم) .. والذى كان يخفيه النبى « صلى الله عليه وسلم » فى نفسه هو علمه بما قدر الله له من زواجها ، اذ كان ربه قد اوحى اليه بذلك ، وهذا ما تؤكده اوثق مصادر السنة .. الخ

ويصور المؤلف حكم الطواغيت ، الذين يفسدون ضمائر العامة بعد افساد معانى الكلمات ، فيسمون الظلم عدلا ، والباطل حقا ، والكفر تقدمية ، والدعوة الى الاسلام خيانة ورجعية (راجع : مكر الليل والنهار) ويعرض الاخوة الاسلامية فى المجتمع الذى اقامه الاسلام ، بعد تقويض الروابط الجاهلية ، التى تعتبر القرابة الدموية هى ركيزة المجتمع ، منددا بالمنحرفين عن اخوة الاسلام الى الدعوات العصبية والمذاهب المستوردة التى تفتت القوى وتمزق الارحام .. جاهليه جديدة يدفعون اليها شعوبهم فى الطريق المعاكس تماما لاخوة الاسلام ..

(راجع حزب الله)

وللتنديد بالدعوات القومية فصول عدة فى الكتاب وعلى الخصوص

Made With Pdf Office

(وسوف تسألون) و (الشرف الباذخ) وقد تناول بالبحث قوله تعالى (لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم ..) وقوله تعالى (وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) فبين ان الله سبحانه انزل كتابه رحمة للعالمين ، وهدى للناس اجمعين ، ولكنه خص العرب هنا بالخطاب تشريفا لهم باصطفائهم لتبليغه الى العالم..وهى الوظيفة التى حولتهم من قبائل مفككة متطاحنة ، مغمورة الى امة رائدة معلمة تحتل ابرز صفحة فى تاريخ الدنيا .. وفى الآية الثانية بشرى وانذارا .. اما البشرى ففى كون هذه الرسالة شرفا لمحمد صلى الله عليه وسلم ولقومه ، واما الانذار ففى تذكيرهم بمسؤولية الدعوة والحفاظ عليها والتزام سبيلها ، وتهديدهم بالحساب على كل تقصير فى شأنها ..

وينتهى الى القول : (.. لقد سقطت فلسطين فى ايدى الصليبية من قبل فلم ينقذها سوى الاسلام ، ووحد الاسلام العرب ، فلم تمزق وحدتهم الا الدعوات الدخيلة التى وفدت من وراء جزيرتهم ، وهذا يعنى ألا مجد ولا حرية ولا وحدة للعرب الا بالاستمساك بالاسلام ..) ولولا خشية التطويل لنقلت لك الحوار الجميل بتمامه .

واليك قطعة من (الشرف الباذخ):

الشيخ ــ وقد وصفهم (الله) بالاميين ليذكرنا بقدرته ، التى كونت من خامات الجاهلية الجهلاء خير امة أخرجت للناس !..

التلميذ ــ يالها من معجزة كبيرة !

الشيخ ــ بل قل ياله من شرف باذخ ، ان يعهد الله بأمانته العظمى الى هذه القبائل الضالة المتناحرة فيخرجها من الظلمات الى النور ويبوأها عرش القيادة العالمية !

التلميذ ــ ياله من شرف باذخ !..

الشيخ ــ يابنى .. انه الشرف الذى تقرأه فى قوله تعالى : (لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم .. أفلا تعقلون ؟!)

التلميذ ــ وأى ذكر للعرب أفخر من ان يقترن اسمهم برسالة الاسلام !

الشيخ ــ والآن نتذكر ان هذا الاسلام دعوة الله ، لايملكها احد ولا تحتكرها امة .. أخرج الله بهاالعرب من قوقعة العصبية الى رحاب الانسانية .. فهم احق بشرفها ماداموا فى خدمتها ، فاذا تخلوا عنها كان كل آخذ بها أحق بذلك الشرف منهم .

التلميذ ــ كأنى بالشيخ الفاضل

Made With Pdf Office

يردد قول امير المؤمنين عمر بن الخطاب « نحن قوم أعزنا الله بالاسلام ، ومهما نبتغ العزة بغيره أذلنا الله .. »

الشيخ ــ رضى الله عن الفاروق.. انه حين ارسل كلمته كان ينظر الى هذه الحقيقة الضخمة بنور الله.. فاسأل ربك من هذا النور يابنى ..

التلميذ ــ اللهم انى اسألك لى ولشيخى من هذا النور ما يعيننا على فهم وحيك ...

الشيخ ــ اللهم آمين .. وفى ظل هذا النور ستدرك يابنى معنى (وآخرين من دونهم لما يلحقوا بهم ، وهو العزيز الرحيم) .

التلميذ ــ كنت على وشك ان اسألك عن هؤلاء الآخرين ..

الشيخ ــ انهم يابنى جميع الافراد والاقوام الذين كتب الله لهم الهداية الى هذا النور .. منذ الصدر الاول حتى يرث الله الارض ومن عليها .

التلميذ ــ وهكذا يجمع الله العرب والعجم على اخوة الاسلام ، فلا يبقى لعربى على اعجمى ، ولا لأبيض على اسود فضل الا بالتقوى ..

★ ★ ★

واذ لم استطع الاشارة الى كل الموضوعات التى عالجها المؤلف ببراعته وفنه ، فانى أكتفى بمااقتبسته تاركا للقارىء الكريم ان يظفر بمتعته الكاملة حين يخلو الى (دروس من الوحى) وسيشاركنى الرأى بأن المؤلف كثيرا ما يخدع القارىء عن نفسه ، ببراعته وحواره البديع ، الذى يمسك بأنفاسه ، ويغريه بمتابعة القراءة ، ظنا منه انه يقرأ قصة تمثيلية مسلية ..ولكنه لايلبث ان يدرك انه وقع فى شبكة عالم متبحر ، ومفكر عميق التفكير ، وداعية الى الله على بصيرة ، واذا هو يفيد علما ، وترشف روحه من منابع الوحى فى الكتاب والسنة ، وما أكثر ما يجد القارىء نفسه مع المؤلف امام بحوث علمية عميقة ، ولكنها مبسطة ، فينال من المتعة الفكرية والروحية اوفى نصيب.

ولغة الكتاب من السهل الممتنع تمتاز ببلاغتها واشراق عبارتها ووضوح فكرتها ، ومن هنا كان لنا ان نقول من غير تردد : ان الكتاب يرتفع بالشادين ويلبى رغبة الخاصة من طلاب العلم المتطلعين الى الثقافة الاسلامية الاصيلة ، وهو مرجع هام ونمط رفيع من الادب الاسلامى الحديث ..

Made With Pdf Office